عناصر جودة الحياة في القرآن الكريم

برز مصطلح «جودة الحياة» حديثاً في علم الاجتماع، والذي يعتمد على مجموعة من المقومات مثل قدرة المواطن على التفكير واتخاذ القرارات، والقدرة على التحكم، والتمتع بالصحة الجسمانية والعقلية، وجودة الأحوال المعيشية والعلاقات الاجتماعية، وحرية ممارسة المعتقدات الدينية، والاهتمام بالقيم الثقافية والحضارية، وجودة الأوضاع المالية والاقتصادية وغيرها.

د. صلاح أحمد حسن

أستاذ ورئيس قسم العيون الأسبق بطب أسيوط

ولأن كل عقد من الزمن يشهد تطوراً في صناعة معينة، مثلما شهدت سنوات الستين التطور في نظام الأكلات السريعة، وسنوات السبعين التطور في وسائل البناء والعقارات، وسنوات الثمانين ثورة الكترونيات في صناعة الأجهزة المنزلية، وسنوات التسعين الطفرة في صناعة الحاسبات الشخصية والتليفون المحمول والإنترنت، فإن سنوات الألفية الجديدة تشهد تطوراً آخر يمكن أن نطلق عليه «صناعة جودة الحياة»، والتي تهدف في المقام الأول إلى توفير الرعاية الصحية للناس، وتوفير منتجات تمنحهم صحة أفضل، ومظهراً أفضل، كما أنها تعمل على إبطاء الشيخوخة، ومنع الأمراض من التطور منذ البداية. وللدلالة على أهمية هذا الموضوع فإن بول زاين بيلزير، أحد كبار الاقتصاديين في العالم، يتنبأ في كتابه الأكثر مبيعاً وعنوانه «الترليون التالي» بأنه سيتم تخصيص ترليون دولار إضافي من الاقتصاد الأمريكي (كان هذا الافتراض قبل الأزمة المالية الحالية) وحتى سنة ٢٠١٠، وكذلك في أوروبا، للإنفاق على صناعة جودة الحياة. ومع بزوغ مصطلح جودة الحياة، تغير مفهوم مصطلح تعريف الصحة، فصارت تعرف بأنها حالة السلامة البدنية والعقلية والاجتماعية والعاطفية والنفسية والاقتصادية والتعليمية الكاملة، وليست حالة مجرد انعدام المرض أو الإعاقة. وتشمل جودة الحياة من الناحية الصحية فقط على أربع نواح أساسية، تؤثر بشكل أو بآخر على صحة الإنسان، كما أنها تتفاعل مع بعضها البعض. وهذه النواحي هي: الناحية الجسمانية، والناحية الشعورية، والناحية العقلية، والناحية النفسية، حيث تمثل هذه النواحي الأربع الاحتياجات الأساسية الأخرى الضرورية لحياة الإنسان، والتي لا يستطيع العيش بدونها، والتي يمكن أن نطلق عليها الاحتياجات الأولية وهي: أولاً: «الاحتياجات الفسيولوجية»: وتشمل الهواء والطعام والمسكن والنوم وغيرها». ثانياً: الاحتياج إلى الأمن والأمان: أي الحاجة إلى العيش في مجتمع آمن بعيد عن المخاطر». ثالثاً: «الاحتياجات الخاصة بالانتماء»: مثل القبول والتفاعل والولاء الاجتماعي. رابعاً: «الاحتياج إلى تقدير النفس»: ويعني الإحساس بالذات، والمهارات المكتسبة، والتقدير، والاحترام. خامساً: «الاحتياج إلى تحقيق الذات»: ويشمل الاحتياج الجسماني، والشعوري، والعقلي، والنفسي وغيرها. كما توجد عوامل أخرى خارجة عن إرادة الإنسان، قد تؤثر على مقومات حياته والتي تتصل بالناحية الصحية، مثل العجز، والتقدم في العمر، والألم، والخوف، وضغوط العمل، والحروب، والموت، والإحباط، بل والراحة أيضاً. والحقيقة أن القرآن الكريم قد سبق علم الاجتماع في الإشارة إلى عناصر صناعة جودة الحياة، لكن القرآن الكريم أطلق عليها مصطلح الحياة الطيبة، وهو مصطلح أعمق في المعنى، وأطيب وقعاً على الأذن من كلمة «صناعة» التي ترجع كل شيء إلى مقومات مادية، بالرغم من أن الحياة الطيبة في مجملها راحة نفسية، ومتعة مزاجية، وتمتع بالطيبات المادية، يقول تعالى في محكم التنزيل: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ . النحل: ٩٧ (معاني المفردات: عمل: فعل ، صالحاً: حسن عمله وخلقه، أجرهم: الأجر: عوض العمل وجزاؤه) وفي تفسير هذه الآية البينة من كتاب الله الحكيم يقول صاحب الوسيط في تفسير القرآن المجيد: (من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة): قال ابن عباس في رواية سعيد بن جبير: هي القناعة، قال: وكان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يقول: اللهم قنعني بما رزقتني وبارك لي فيه، وفي رواية الكلبي وأبي مالك وعطاء: هي الرزق الحلال وأكل الحلال، وعن مجاهد قال: هي الجنة، وقال قتادة: هي رزق يوم بيوم. وقد ذكر القرآن الكريم مقومات الحياة الطيبة وهي:

● **الحياة الطيبة:** الطيب : كل ما خلا من الأذى والخبث، وطيب العيش: الحياة الحسنة، والحياة الطيبة تعني تمتع الإنسان بمباهج الحياة الطيبة، دون تفريط أو إفراط، مع مراقبة الله في كافة الأعمال في السر والعلن، والوفاء بالتكاليف الشرعية، يقول تعالى: «من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة» . النحل: ٩٧.

● **السكن الطيب:** السكن : ما تسكن إليه النفس من أهل ووطن، والمسكن هو مكان السكون والإقامة، وجمعه مساكن، يقول تعالى: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ بُيُوتِكُمْ سَكَناً﴾ . النحل ٨٠، وقد ضرب الله مثلاً بالسكن الطيب مساكن الجنة، يقول تعالى: ﴿وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ﴾ . التوبة: ٧٢، ويقول النبي (صلى الله عليه وسلم): «من أصبح منكم آمناً في سربه، معافى في جسده، عنده قوت يومه، فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها» (رواه الترمذي) (السرب: الدار والسكن)

● **الأكل الطيب:** الأكل هو إيصال ما يتأتى به المضغ إلى الجوف، ممضوغاً» كان أو غيره، فالمشروب الذي لا يمضغ لا يسمى مأكولاً، وشربه لا يسمى أكلاً، يقول تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الأَرْضِ حَلاَلاً طَيِّبًا﴾ . البقرة ١٦٨

● **البلد الطيب:** البلد هي كل موضع من الأرض غامر أو عامر، مسكون أو خال، والبلد كذلك الحاضرة، والجمع: البلاد، يقول تعالى: ﴿وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ﴾ الأعراف: ٥٨، ويقول تعالى: ﴿بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ﴾ . سبأ: ١٥

● **القول الطيب:** القول يعني الكلام، والرأي، والعقيدة، والحكم الإلهي من الأزل، والقول الطيب هو القول اللين الذي لا عنف فيه، يدعو إلى المعروف، وينهى عن المنكر، يقول تعالى: ﴿وَهُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ﴾ . الحج: ٢٤، ويقول تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ﴾ . فاطر: ١٠، وهو ما يدعو

إليه الرسل من الحق والخير والرشاد والإصلاح، ويشمل العبادة والدعاء وكلمات التوحيد وكل كلم طيب من تسبيح وحمد وتكبير وتهليل وذكر وتمجيد.

● **النكاح الطيب:** هو الزواج الشرعى الصحيح المستوفى لما جاء فى كتاب الله وسنة رسوله (صلى الله عليه وسلم) والذى يحل به الوطء، يقول تعالى: ﴿وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ﴾ النور: ٢٦

● **الذرية الطيبة:** الذرية للمفرد والجمع والمذكر والمؤنث من نسل الإنسان، يقول تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً﴾ آل عمران: ٣٨

● **التحية الطيبة:** وهى السلام، يقول تعالى: ﴿فَسَلِّمُوا عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُبَارَكَةً طَيِّبَةً﴾ - النور: ٦١

● **الطقس الطيب:** الطقس هو مجموع الظواهر الطبيعية فى بقعة معينة وفترة زمنية معينة، ويشمل الضغط الجوى، وسرعة الريح، ودرجة الحرارة، ودرجة الرطوبة (بخار الماء) وكمية المطر وغيرها، يقول تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا كُنتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ﴾ - يونس: ٢٢ ويقول تعالى: ﴿مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا﴾ - الإنسان: ١٣

● **الغنائم الطيبة:** الغنيمة لغة: الفائدة، وشرعاً ما أصابه المسلمون من أعدائهم أهل الحرب عنوة بقوة الغزاة وقهر الكفر، على وجه يكون فيه إعلاء كلمة الله، يقول تعالى ﴿فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا﴾ - الأنفال: ٦٩.

المصادر

● القرآن الكريم
● الشبكة العنكبوتية: موقع يالا والصحة لنا.
● القاموس القويم للقرآن الكريم: إبراهيم أحمد عبدالفتاح - دار الكلمة - مصر.
● قاموس المصطلحات الاقتصادية فى الحضارة الإسلامية: دكتور محمد عمارة - دار الشروق - القاهرة.
● المعجم الإسلامى: أشرف طه أبوالدهب - دار الشروق - القاهرة.
● المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم: محمد فؤاد عبدالباقى - دار الحديث - القاهرة.

حقا إنها القناعات

أحد الطلاب فى إحدى الجامعات فى كولومبيا حضر محاضرة مادة الرياضيات.وجلس فى آخر القاعة ونام بهدوء.. وفى نهاية المحاضرة استيقظ على أصوات الطلاب ونظر إلى السبورة..فوجد أن الدكتور كتب عليها مسألتين.. فنقلهما بسرعة وخرج من القاعة وعندما رجع البيت بدأ يفكر فى حل هاتين المسألتين وكانت المسألتان صعبتين فذهب إلى مكتبة الجامعة وأخذ المراجع اللازمة.. وبعد أربعة أيام استطاع أن يحل المسألة الأولى.. وهو ناقم على الدكتور الذى أعطاهم هذا الواجب الصعب!!

وفى محاضرة الرياضيات اللاحقة استغرب أن الدكتور لم يطلب منهم الواجب.. فذهب إليه وقال له يادكتور لقد استغرقت فى حل المسألة الأولى أربعة أيام وحللتها فى أربع أوراق.. تعجب الدكتور وقال للطالب ولكنى لم أعطكم أى واجب!! والمسألتان اللاتان كتبتهما على السبورة هى أمثلة كتبتها للطلاب للمسائل التى عجز العلم عن حلها!!

إن هذه القناعة السلبية جعلت الكثير من العلماء لا يفكرون حتى فى محاولة حل هذه المسألة ولو كان هذه الطالب مستيقظا وسمع شرح الدكتور ما فكر فى حل المسألة.

ولكن رب نومه نافعة.. ومازالت هذه المسألة بورقاتها الأربعة معروضة فى تلك الجامعة.

● قبل خمسين سنة كان هناك اعتقاد أن الإنسان لا يستطيع أن يقطع ميلا فى أقل من أربع دقائق.. وإن أى شخص يحاول كسر الرقم سوف ينفجر قلبه!! ولكن أحد الرياضيين سأل: هل هناك شخص حاول وانفجر قلبه فجاءته الإجابة بالنفى!!

فبدأ بالتمرن حتى استطاع أن يكسر الرقم ويقطع مسافة ميل فى أقل من أربع دقائق..

فى البداية ظن العالم أنه مجنون أو أن ساعته غير صحيحة.. لكن بعد أن رأوه صدقوا الأمر واستطاع فى نفس العام أكثر من ١٠٠ رياضى أن يكسر ذلك الرقم!! وبالطبع القناعة السلبية هى التى منعتهم أن يحاولوا من قبل.. فلما زالت القناعة استطاعوا أن يبدعوا.

حقا إنها القناعات

أحبتى.. فى حياتنا يوجد كثير من القناعات السلبية التى نجعلها شماعة للفشل.. فكثيرا ما نسمع كلمة مستحيل، صعب، لا أستطيع.. وهذه ليس إلا قناعات سالبة ليس لها من الحقيقة شئ.. والإنسان الجاد يستطيع التخلص منها بسهولة.. فلماذا لا نكسر تلك القناعات السالبة بإرادة من حديد نشق من خلالها طريقنا إلى القمة.